الأبعاد التربوية و الاجتماعية في أدب الطفل

بن معمر بوخضرة*

➢ مقدمة:

لقد أدركت المجتمعات الإنسانية – و منذ فجر التاريخ –أهمية التربية في تكوين شخصيات الأفراد و تنشئتهم وفق متطلبات كل مجتمع و أهدافه .

و مع تطور المجتمعات الإنسانية تطورت العملية التربوية بأبعادها المختلفة تبعا لفلسفة كل مجتمع و نظرته للكون و الحياة .

و تبعا لذلك فمن الطبيعي أن تحتل ثقافة الطفل بوصفها عنصرا تربويا هاما من عناصر هذه الثقافة العامة – مكانة مميزة في تربية الطفل ، لا سيما و أن تأثير الثقافة العرضية (الاجتماعية التقليدية) اقوى من تأثير الثقافة النظامية و أشد فاعلية.

و بذلك يعد أدب الطفل رافدا قويا في بناء ثقافة الطفل و التي تعني أسلوب الحياة السائدة في مجتمع الأطفال سواء أكان هذا الأدب من صنع الكبار أم من صنع الصغار و لتحديد معالم هذا النوع من الأدب نكون مضطرين إلى تقديم بعض التعريفات الأكاديمية عنه.

➢ تعريف أدب الطفل:

أدب الأطفال تعبير يتطلب منا الوقوف عنده من خلال هذا التركيب الإضافي الذي يعني في بنائه الدلالي المباشر المادة الأدبية، شعرية و قصصية او مسرحية الموجهة إلى هذه الفئة (الأطفال) التي تشكل نواة أساسية لا غنى عنها لأي مجتمع.

* جامعة تلمسان boukhdra13@yahoo.fr

و يعرف روت أدب الأطفال بأنه " الأدب الذي يناسب الأطفال وبتعريف إجرائي ، يتضمن أدب الأطفال تلك الكتب المكونة و المنشورة قصصا للناس الصغار الذين لم يهتموا بعد بأدب الكبار أو الذين لم يمتلكوا بعد مهارات القراءة الضروري لقراءة واعية".

إن هذه التعريفات تؤكد الأهمية الكبيرة التي تكسيها أدب الأطفال و الدور الذي يقوم به في إعداد الأجيال و الثقافات و الحضارات أو الجانب الحساس فيه المنظومة القيمية التي ينطوي عليه هذا الادب الذي سيشكل ملامح شخصية الطفل المستقبلية.

- أدب الأطفال و تكوين المفهوم القيمي:

يولد الطفل بميزات وصفات معينة و البيئة هي التي تقوم بتشكيل هذه الخاصة ، إن جذور الحس القيمي عند الطفل مثلها مثل المكتسيات السلوكية الأخرى تعود في بدايتها إلى سنواته الأولى ، حيث يبدأ اتصاله مع العالم الخارجي، ثم تنمو و تتطور إلى أن تتحدد و تتبلور معالمها وفق منظومة عامة من القيم و المعايير السلوكية الأخلاقية و الاجتماعية.

غير أن بناء القيم و ترسيخها تعد مهمة صعبة في مضمونها خطيرة في أهدافها و تحتاج إلى أن توزع في الوقت المناسب و هذه مسؤوليات المؤسسات الاجتماعية و الثقافية و التربوية و إذا كان الأمر هكذا فكيف لأدب الأطفال أن يسهم في غرس القيم التربية ؟.

- أدب الطفل و القيم التربوية:

تبرز قيمة أدب الأطفال بوصفه عنصرا تربويا فعالا إذا ما أحسن توظيفه ، حيث يتمركز محور الموضوع الأدبي حول إثارة اهتمام الطفل المتلقي بما لا يتعارض مع مهمة الأدب في تجسيد الحقيقة الحياتية الواقعية بكل أبعادها أن الاتفاق العام اليوم ينتصب على أن يكون الغذاء الأدبي المعرفي للأطفال ملائما لمداركهم العقلية و استعداداتهم النفسية .

- أدب الأطفال و القيم الاجتماعية:

تشمل القيم الاجتماعية المعايير و المثل التي تحدد علاقات الأفراد مع بعضهم في إطار المجتمع على أساس الاحترام المتبادل و تقرير العمل المنتج في القضاء على التخلف الاجتماعي و إعلاء شأن المصلحة العامة و العمل المشترك إضافة إلى القيم العربية الأصيلة المتمثلة في محبة الأسرة و الإيثار و الكرم.

- أهمية أدب الأطفال:

نظرا لأهمية أدب الأطفال و دوره الكبير في تكوين الأجيال وتثقيفها وتحضيرها للمستقيم فقد أولته الدول التقدمة بل عنايتها و رعايتها فشجعت الكتاب و الأدباء على التأليف فيه و نشأت له دور نشر خاصة، و مراكز بحث متخصصة و أدخلت موضوعه في برامج الدراسة الجامعية و قدمت له الدعم المادي و المعنوي و اهتمت بتويعد على أوسع نطاق .

إذ يصدر عن الدول الأوروبية كل عام إعداد كبيرة من كتب الأطفال " إذ تنشر كل دولة منها سنويا خمسة ألاف عنوان بملايين النسخ وتنتج السويد لوحدها 1500 عنوان من كتب الأطفال و تشتري الدول من كل عنوان 1500 نسخة توزعها كل المكتبات العامة"[1].

أما في الولايات المتحدة الأمريكية فيتم سنويا طبع آلاف العناوين الجديدة من كتب الأطفال بملايين النسخ تتولى نشرها أربعة آلاف دار نشر متخصصة بمنشورات الأطفال.

أما في العالم العربي فان أدب الأطفال لا يزال في مراحله الأولى نظرا لمرحلة التعتيم التي مرت بها الأمة العربية خلال الحكم العثماني تم الاحتلال الأجنبي ، لذلك جاءت الكتابة في أدب الأطفال متأخرة مع نهاية القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين ، و بذلك على اثر جهود فردية هنا وهناك مع الشيخ رفاعة القهطاوي (1801 -1873) قام بترجمة بعض القصص عن الانجليزية والفرنسية.

تم مع الشاعر احمد شوقي 1868-1932 الذي أبدع أكثر من خميس قصيدة خصصها لأدب الأطفال ، تحمل في طياتها توجيهات تربوية، غير مباشرة على

لسان الحيوانات و النباتات و أبرزها الذين توسعوا في كتابة أدب الأطفال كامل الكيلاني الذي كتب ما يزيد عن 150 قصة للأطفال.

➢ الطفل و مجتمع القراءة:

ليست مسؤولية القراءة في أدب الطفل مهمة فردية بل هي مسؤولية جماعية و قومية و حضارية ، فهي تحتاج إلى أبحاث و دراسات معمقة تدرس الكيفيات و الأهداف التي يجب أن تصاحب أي عمل أدبي و يعد أصلا إلى الطفل منذ مراحله الأولى إلى أن يصبح شابا يافعا.

إنها جهود تتطلب أرمدة من الفاعلين في هذا الحقل ممن يربطهم صلة من قريب أو بعيد بهذه العملية لذلك يجب أن " نبذل كل المجهود للعانية بثقافة الطفل العربي باعتبارها قضية قومية مصيرية و أساسا للتطور و النمو ، في أرجاء الوطن العربي كافة وخير ضمان لتعزيز الريادة الفكرية في بناء المستقبل الزاهر"[2].

فالمتفق عليه لدى جميع علماء الإنسانية و العلوم الاجتماعية إن الثقافة تبدأ بالطفل و أن الأدب يجيء في مقدمة الوسطاء الثقافية و هذا الأدب يوجد معظمه في بطون الكتب لهذا " تمثل علاقة الطفل بالكتاب المفتاح الطبيعي للتعليم و التأليف ومن ثم تبرز أهمية القراءة في مجال الطفولة وكذلك أهمية الكتابة لها"[3].

إن ثقافة الطفل هي أساس عملية التنمية الشاملة التي يتباهى كل مجتمع لأبنائه من أجل تطوير معارفهم و إطلاق قدراتهم و شحد، يجب أن يكون أساس هذه الثقافة التخطيط الواعي والشامل والتنسيق المتكامل بين جميع أجهزة الدولة و مؤسساتها المعنية بالطفولة من رياض الأطفال ومدارس ومكتبات حتى تحقق الأبعاد المرجوة على المستوى التربوي والاجتماعي.

و الإشكالية في هذا الجانب ذات صلة حساسة رأت تحقيق الأهداف لأبأس دفعة واحدة و إنما هي بناء هرمي يتدرج عبر تطور المراحل العمومية لدى الأطفال و التي تمكن تحديدها كما يلي:

- مرحلة الطفولة المبكر:

تكون من الثالثة إلى السادسة من عمر الطفل و هي مرحلة الواقعية والخيال المترابطة بمحيط الطفل إنها مرحلة خيال التوهم لان الطفل يتوهم خلالها أشياء غير موجودة في الواقع و الطفل في هذه المرحلة يريد إشباع حب الاطلاع لديه .

ولذلك يجب التركيز في هذه المرحلة على رواية القصص للأطفال و التي تتميز بالمضمون التربوي و الإخراج الجيد و الألوان الجميلة.

يحتاج الطفل في هذه المرحلة إلى من يساعده على تهذيب السلوك و تقويم اللسان و إيقاظ تباهته و تشجيعه على أعمال عقله و فكره و بالتأمل و التفكير وتنشيط قدرته على الحفظ ، خاصة و أن الدراسات النفسية تؤكد أن معالم شخصية الطفل المستقبلية، إنما تكون في السنوات الأولى من عمر فالمادة التربوية تبدأ بهذه المرحلة " فقد ورد عن سهل بن عبد الله التستري قوله "كنت و أنا صبي لبن ثلاث سنين أقوم في الليل فانظر إلى خالي محمد بن سوار فقال لي يوما إلا تذكر الله الذي خلقك : فقلت كيف اذكره فقال : قل ثلاث مرات من غير أن تحرك لسانك الله معي ، الله شاهدي والله ناظر إلي. فقلت ذلك ليالي تم أعلمته فقال قل ذلك في كل ليلة سبع مرات فقلته واعلمه فزاد من إلى إحدى عشرة مرة فقلته و وقع في قلبي حلاوته ، فلما كان بعد سنة قال لي خالي احفظ ما علمتك وداوم عليه ، تم قال لي من كان الله معه و ناظرا إليه هل يعصيه فقلت: لا فقال: إياك والمعصية ، تم لما بلغت ست سنين حفظت القران كله"[4].

وفي هذه المرحلة العمرية أيضا يحتاج الأبناء إلى إكسابهم عادة النطق السليم وتزويدهم بعدد والجمل ذات الدلالات الفاضلة.

و مما يجب الحرص عليه في هذه المرحلة العمرية تعليم الأطفال معاني الصدق والأمانة والطهارة من خلال نصوص هادفة.

- مرحلة الطفولة المتوسطة:

تكون بين السادسة إلى الثامنة من عمر الطفل و هي مرحلة الخيال الحرفي لطفل يطلق العنان لخياله الواسع و العالم الأخر انه عالم الملائكة و العمالقة و الشياطين والاكاذيب و بالتالي فان القصص الخرافية ذات الأبعاد التربوية هي الأنسب في هذه المرحلة.

و في هذه المرحلة يجب مراعاة الميول و الاتجاهات النفسية المناسبة وسيستثمر في بناء القدرات و الاستعدادات النفسية و الإبداعية ومن هنا تبدأ بتشكيل معالم الميول والرغبات من خلال أدب الطفل في القصص و الأخبار.

المرحلة الثالثة: تكون من التاسعة و الثانية عشرة يجب الاعتماد في هذه المرحلة على ميول الشباب من أجل استقرار التوجيه في الاختصاصات المرغوب فيها مع ضرورة تتبع هذه المرحلة بما يتناسب مع التحصيل التربوي الذي تعلمه في المرحلة الأولى والثانية و في هذه المرحلة يستند إعجاب الطفل بالأبطال و المغامرين والمكتشفين انطلاقا من حبه للمغامرة والمخاطرة لذلك يجب تشجيعه على قراءة القصص في هذه المجالات شريطة أن يكون أهدافها نبيلة كي ترسخ لديه قيم الخير و العدل و السلام و الحرية وتبعده عن الشر والعدوان.

- الخـــــاتـــمـــة:

إن أدب الأطفال عندنا اليوم بحاجة ماسة إلى تلبيه المطالب التربوية والنفسية والاجتماعية لعالمنا المعاصر و لدى يجب أن يتمتع أدباء الأطفال اليوم بالخبرة و الذكاء والمعرفة الجيدة بأطوار الطفولة ومراحل نموها، وما تتطلبه كل مرحلة منها ، من أنواع النصوص ويكون على دراية تامة بالموضوعات التي يقبل الأطفال عليها ومن التمكن من معالجتها فكرا و عاطفة و أسلوب و مردودا تربويا و اجتماعيا.

الهـــوامـــــش:

1- عبد اللطيف الصوفي- فن القراءة – أهميتها ، مستوياتها ، مهاراتها ، أنواعها – دار الفكر، دمشق ط5 – 2009 ص123.

2- بيان القاهرة عن ثقافة الطفل العربي ، مؤتمر وزارة الثقافة العرب في دورته الثامنة (1-3) جويلية عام 1991 ص2.

3- احمد سويلم – البعد الإسلامي في ثقافة الطفل العربي – تونس المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم -1992 ص11.

4- أبي حامد محمد بن محمد الغزالي إحياء علوم الدين – ج3 – ص74.

المواطنة و التعايش في خطاب حركات الإسلام السياسي

زازوي موفق*

تمهيد: تواجه حركات الاسلام السياسي اليوم تحديا كبيرا أمام موجات الحداثة. تأتي في مقدمتها الحداثة السياسية و ما تفرضه من مفاهيم كالديمقراطية والمواطنة التي يعد التعايش احدى تمظهراتها.

غير أن الجدل الدائر بين هذه الحركات أفضى الى مواقف متباينة .و قد وصلت المغالاة عند بعضها إلى اعتبارمفاهيم كالديمقراطية و حقوق الإنسان و المواطنة مرفوضة جملة و تفصيلا، لقناعتهم المسبقة بأن الغرب يريد غزو العالم الإسلامي ثقافيا، و لاعتقادهم في أن هذه المفاهيم غربية و غريبة عن الثقافة الاسلامية .فهي تمثل استدراج المسلمين للوقوع في حبال الهيمنة الغربية .

وفي مقابل هذا الاتجاه المتطرف ظهرت بعض الاصوات المتنورة في صفوف الاسلاميين و التي تدعو الى تبني الديموقراطية الغربية و حقوق الانسان و على رأسها حق المواطنة .

فاذا كانت هذه الاخيرة تقوم على المساواة الاجتماعية و السياسية المتكافئة بين الافراد والجماعات أمام القانون. فهل مجتمع المواطنة بهذا المفهوم يتحقق في خطاب الحركات الاسلامية؟

و بعبارة أخرى هل حركات الاسلام السياسي تؤسس من خلال خطابها لفكرة المواطنة التي يعد التعايش إحدى تمظهراتها ؟

الاجابة على هذه الاشكالية يتطلب المرور بالعناصر التالية:

1/- في تحديد مفهوم المواطنة و أسسها.

2/- في أن المواطنة تكريس لفكر التعايش.

3/- أسئلة عالقة في خطاب حركات الاسلام السياسي .

1/-في تحديد مفهوم المواطنة:

أ/- من حيث الاشتقاق اللغوي : في معناها الواسع تعني كلمة مواطنة.....والتي تشتق من كلمة مواطن..... .هذه الكلمة الاخيرة مشتقة بجورها من الكلمة اللاتنية .....ومن الاغريقية

* جامعة تلمسان zmoufek@yahoo.fr.